مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية
Tobruk University Journal of Social & Human Sciences
ISSN: 2789-5068
www.jshs.tu.edu.ly

الرحلات الاستكشافية الفرنسية ودورها في إحتلال موريتانيا

FRENCH EXPEDITIONS AND THEIR ROLE IN MAURITANIA'S OCCUPATION

إعداد

د. جمال غدور

دكتور بقسم التاريخ ـ جامعة نواكشوط ـ موريتانيا
gadour222277@yahoo.com

ملخص:

قليلة هي المصادر التي تتحدث عن الرحلات الاستكشافية الفرنسية والأقل من ذلك المراجع التي تتناول هذه الرحلات وتستجلي لنا أهميتها التاريخية.. من هنا جاء اهتمامي بالموضوع .

لقد بدأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ بداية القرن التاسع عشر في سياسة جديدة مبنية على وضع قواعد للتعامل التجاري وتقليص نفوذ السلطة المحلية وهو ما استدعى منها إرسال مستكشفين يمدونها بالمعلومات.

وعلى أساس هذه المعلومات كانت الإدارة الاستعمارية تضع الخطط الكفيلة باحتلال البلاد بداية القرن العشرين.

وتختلف الدوافع إلى هذه الرحلات باختلاف أصحابها والجهات التي تقف وراءها، فمنهم من يدفعه البحث عن مصادر الثروة ومنهم من تحركه المغامرة ومنهم من تقوده نوازع استعمارية لجمع المعلومات عن المنطقة تمهيدا لاحتلالها.

الكلمات المفتاحية: الرحلات الاستكشافية، احتلال موريتانيا، الرحالة الفرنسيون، الإدارة الاستعمارية.

د / جمال غندور

Abstract

Few sources speak of French expeditions and fewer references that address these trips .and illustrate their historical significance to us. Hence my interest in the subject
Since the beginning of the nineteenth century, France's colonial administration has embarked on a new policy of establishing rules for commercial dealing and reducing the influence of the local authority, which has necessitated it to send explorers who provide it .with information
Based on this information, the colonial administration was making plans for the .country's occupation at the beginning of the twentieth century
The motives for these trips vary by their owners and those behind them. They are driven by the search for sources of wealth, the adventure and by colonial disputes to gather .information about the area in preparation for its occupation

Keywords: expeditions, occupation of Mauritania, French backpackers, colonial .administration

المقدمة:

ساهمت الرحلات الكشفية في التمهيد للسيطرة الأوربية على الأراضي التي استهدفتها هذه الرحلات، ومع أن هذه الرحلات كانت في بدايتها شبه عفوية قام بها مغامرون يسعون إلى ارتياد المجهول، فإنها ما لبثت مع تطور الأوضاع العلمية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا أن بدأت تكتسي طابعا جديدا هدفه الأساسي جمع المعلومات المهمة عن المجتمعات من أجل تسهيل السيطرة عليهم.

ولم تكن موريتانيا استثناء من هذه الاستكشافات، فقد عرفت في هذا السياق مجموعة من الرحلات جابت طول البلاد وعرضها، واختلفت ظروفها وأغراضها تبعا لأشخاصها والجهات التي تقف وراءها.

المحور الأول: مرحلة ما قبل الرحلات الكشفية

إذا كان الوجود الفرنسي في موريتانيا خلال الفترة الممتدة من (1800-1854) قد طغت عليه السمة التجارية، فإن عام 1854 يمثل مرحلة انتقالية ما بين مرحلة المحطات التجارية، ومرحلة الإمبريالية الاستعمارية التي ستبدأ باريس في رسم معالمها عن طريق حاكمها العام في إفريقيا الغربية.

وبالرغم من مساعي الفرنسيين لتثبيت أقدامهم في المنطقة، فإن وجودهم خلال هذه المرحلة (1800 – 1854) لم يحقق مكتسبات سياسية على الأرض، فما زال البيضان

1 أصحاب كلمة مسموعة لدى الممالك السودانية المجاورة، وتدخلاتهم في الضفة اليسرى لنهر السنغال تغيظ صدور الفرنسيين، وما زال هؤلاء الأخيرون يدفعون الإتاوات للجانب المحلي.

إن السياسة الفرنسية الجديدة، كانت توافق هوى فيدرب2 الذي لخص سياسته عند توليه السنغال فيما يلي:

- تقوية السيطرة الفرنسية على السنغال وتوسيع نطاقها.
- الضغط على القبائل الموريتانية وإعادة صياغة العلاقات معها.
- كشف البلاد الموريتانية وجمع المعلومات عنها3.

وستكون "والو"4 أولى ساحات النزال بينه وبين البيضان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بوصفها الحجر الأساس للسياسة الفرنسية الجديدة في الحوض الأسفل لنهر السنغال، الذي جاء فيدرب لتطبيقه، بدءا بإحكام القبضة على تلك المملكة "الولفية" الحساسة الموقع، وانتهاء بتغيير شروط التبادل على الضفة اليمنى لنهر السنغال5 (إلغاء المواسم، والمحطات التقليدية للتبادل، والقضاء على الضرائب العرفية التي كانت تدفع للأمراء).

وعندما كان كل طرف متمسكا بموقفه، فالمجموعة البيضانية متمسكة بحقوقها على الضفة اليمنى للنهر، ولا تريد تغييرا يطرأ على الإتاوات والضرائب التي تدفعها فرنسا، وهذه الأخيرة عازمة على تطبيق سياستها الجديدة في المنطقة، ولم يكن ذلك التناقض الحاصل في مواقف الطرفين غائبا عن ذهن الوالي الفرنسي فيدرب حيث يذكر في رسالة موجهة إلى وزير المستعمرات ما يلي: "... إن البيضان لا يريدون تغيير أي شيء مما كان قائما، وبعبارة أخرى فهم يريدون أن نسدد لهم مبلغا معينا عن كل سفينة حسب حمولتها سواء كان بها علك أو لا (...) وقد ظل محمد لحبيب يؤكد على الدوام، ولحد الساعة، أن أي شيء لن يتغير بالنسبة للضرائب العرفية ولمحطات التبادل ما دام حيا..." 6.

جاء التوجه الفرنسي الآنف الذكر، بعدما شهدته المنطقة من استفحال لظاهرة الانقسامات السياسية في الممالك النهرية، وتزايد ضغط الإمارات البيضانية عليها، وتدخل هذه الأخيرة في الشؤون الداخلية لمملكة "والو"، زد على هذا الوضع كله ،ظهور حركة الحاج عمر الفوتي7 التي أخضعت مجمل أعالي النهر، وأصبحت بالتالي تهدد المصالح الفرنسية.

ولعل الدارس للاتفاقيات المبرمة بين القبائل الموريتانية وفرنسا يلاحظ بسهولة أنها سعت إلى تحديد مراكز تجارية يتم فيها التبادل التجاري بين الطرفين، وهنا نلاحظ مسألة في غاية الأهمية من وجه نظرنا سعى كل طرف إلى تحقيقها من خلال هذه المراكز التجارية، ففرنسا كانت مدفوعة بإنشاء هذه المراكز إلى منع التبادل التجاري مع الأطراف الأوربية الأخرى، وبالتالي محاولة الاستئثار والانفراد بالمنطقة، وإبعاد الدول الأوربية الأخرى من حلبة الصراع التنافسي على البلاد.

والقبائل الموريتانية انقادت لإنشاء هذه المراكز – مرغمة في بعض الأحيان – إلى قطع الطرق أمام التوغل الفرنسي داخل البلاد، وبالتالي محاولة جعلها دائما منطقة مجهولة الإمكانات أمام الفرنسيين.

غير أن هذه الاتفاقات والمراكز التي يتم فيها التبادل لم تكن كافية في كبح جماح التطلع الفرنسي لمعرفة البلاد ومقدراتها الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما دفع السلطات الفرنسية إلى إرسال مستكشفين لكي يتعرفوا على أعداد السكان وعاداتهم واقتصادهم وطبيعة حياتهم.

وقد تقمص بعض هؤلاء شخصية التاجر، معلنا أنه مكلف بإمكانية التعاون التجاري، وادعى آخرون الانتماء إلى دائرة الإسلام (إما بانتحاله، أو ممارسة شعائره، أو بالسير في حماية إحدى الشخصيات الدينية)8.

المحور الثاني: الرحالة الأوروبيون وموريتانيا

تختلف دواعي وأهداف الرحلات باختلاف أصحابها والجهات التي تقف وراءهم؛ فمنهم من يدفعه البحث عن الثروة والمكاسب المادية، ومنهم من تدفعه دوافع دينية لنشر دينه عبر مساحات ومجتمعات أكثر، ومن بينهم كذلك من تحركه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب، ومنهم – وهذا هو الأهم بالنسبة لدراستنا – من تقوده نزعة سياسية استعمارية، تسعى إلى ارتياد مناطق جديدة وجمع المعلومات حولها تمهيدا لاحتلالها9.

بعد التطور السريع الذي عرفته وسائل الملاحة البحرية، التي أسفرت عن قيام كشوفات جغرافية كان من نتائجها على المستوى الإفريقي إنشاء مراكز تجارية في عدة نقاط على طول الساحل، أصبحت المناطق الإفريقية معروفة لدى الأوربيين بعد أن أظلت ولفترة طويلة لا يعرفون عنها إلا ما ترويه الأساطير.

وتعد البرتغال الدولة السباقة في ارتياد الساحل الغربي الإفريقي، واكتشاف خفاياه خصوصا الجانب الموريتاني منه، فقد وصلوهم سنة 1444 وتأسيس محطة آركين، والشروع من ذلك الوقت في إنشاء مراكز تجارية في المناطق الداخلية10.

غير أنه مع احتدام المنافسة الإسبانية وتراجع النفوذ البرتغالي تحولت أملاك البرتغال على الساحل الموريتاني إلى إسبانيا سنة 1580، وقد استمرت سيطرة هذه الأخيرة إلى حدود 111638.

بعد ذلك جاء الهلنديون الذين حالوا احتكار تجارة الصمغ، ودخلوا في صراع مع الإنجليز من أجل الاستحواذ على تجارة المنطقة والاستفادة من مقدراتها الاقتصادية.

وما يمكننا أن نلاحظه في هذا الصدد هو أن أغراض الرحالة الأوربيون خلال هذه الفترة – أي من القرن 15 إلى القرن 19 – ظلت تجارية في المقام الأول، ولم تظهر فيها النزعة الاستعمارية الساعية إلى السيطرة على الأر، والإنسان إلا مع القرن التاسع عشر، عصر الرحلات الكشفية إلى المنطقة.

وتبرز أهمية المعلومات التي تقدمها الرحلات الاستكشافية في كونها جاءت شبه عفوية – مع المغالطات المتعمدة التي قدمها البعض12 – لذا فإن أصحاب هذه الرحلات تركوا معلومات مهمة شملت الجوانب الطبيعية والبشرية والاقتصادية للسكان، في حين لم تشد هذه الجوانب انتباه المؤلفين الموريتانيين آنذاك فاشتغلوا على مواضيع أخرى أكثر ارتباطا بالتاريخ الوقائعي (مثل وفيات الأعيان، والحروب...) وبالتالي فإن هذه الرحلات خلال هذه الحقبة وفرت لنا بعض المعلومات الهامة التي كانت ستغيب عنا لولا جهدهم.

كما تبرز أهمية معلومات الرحلات الاستكشافية من جهة أخرى في أنها غطت جل المناطق الموريتانية، مما أعطى لهذه المعلومات – رغم المزالق – قيمة مضافة خصوصا إذا ما وضعنا في الحسبان، أن أصحابها كانوا شهود عيان حين دونوا معلوماتهم عن السكان، وطرق عيشهم، والمجال الذين يقطنون فيه.

المحور الثالث: أهم الرحالة الفرنسسين الذين زاروا موريتانيا

ولعل من أهم الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الرحالة ريني كايي13 الذي زار منطقة لبراكنة سنة 1824 مدعيا الإسلام، ومحبة اللغة العربية، وشرائع الدين الإسلامي، وقد نشرت رحلته في ثلاثة أجزاء أفرزت حوالي 200 صفحة، خصص الجزء الأول منها لحياة السكان في منطقة لبراكنة وبعض عاداتهم وتقاليدهم14.

إن هذه الرحلة مكنت صاحبها من جمع معلومات مهمة متعلقة بالناحية التجارية والجغرافية للمنطقة التي لامستها، حيث أشار إلى خصوبة أرض لبراكنة وكثرة المواد الأولية بها، ثم وجود صناعة محلية تلبي الحاجات الأساسية للسكان المحليين15.

ومع ذلك فإن معلوماته حول المنطقة لم تسلم من الأحكام المسبقة والإطلاقات الجاهزة من ذلك ما أورده الرائد جلييه عندما تحدث عن صاحب هذه الرحلة – وهي أحكام وقع فيها جلييه نفسه حيث يقول: ".. وفي وصفه لحي أمير لبراكنة (يعني كاي) يشير إلى السمات الواقعية لطبائع هؤلاء البيضان المتعجرفين والطماعين..."16 فقد وصف جلييه البيضان بأنهم متعجرفون في معاملاتهم، وطماعين فيما في أيدي الآخرين، وهذه الأحكام الجاهزة لا يكاد يسلم منها كتابه الذي تتجذر فيه النظرة المتعالية وعدم الموضوعية اتجاه السكان المحليين.

المهم أن جلييه نقل عن كاي قوله: حين وصف حي أمير لبراكنة "كان حي الأمير أحمدو17 أيام إقامتي بينهم قرابة 100 خيمة، و فيه حوالي 400 إلى 500 من السكان، فإذا حصّل الأمير الرسوم العرفية18 امتلأ حيه من الضيوف الذين جاؤوا للحصول على بعض الهدايا، وقد رأيت بعضهم ظل ينتظر ثلاثة أشهر في أمل الحصول على 3 أذرع من قماش النيلة.. ويقيم هؤلاء الطفيليون في أول خيمة يتم استقبالهم فيها، ويظلون يتسولون مرتين في اليوم مساءا صباحا... وخلال النهار يظلون يتسكعون في الحي مثنى مثنى"19.

ونحن نعتقد أن خروج كاي المبكر من المدرسة وعدم استطاعته تكميل تعليمه الأساسي وعدم معرفته للهجة القوم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وخصوصياتهم الاجتماعية أمور جعلت معلوماته ناقصة وأحيانا مغلوطة ومشوهة وبعيدة عن الحقائق.

ولا نستبعد أيضا أنه تعرض لعدة مضايقات من السكان، بسبب سحنته الأوروبية – خصوصا إذا علمنا أن العوام يعتقدون أن كل الأوربيين مخالفين للملة ولا يجوز التعامل معهم – مما جعل معلوماته أكثر حدة تجاه هؤلاء.

وخلال الأيام الأخيرة من سنة 1859 وبالتحديد يوم 9 ديسمبر 1859 سيقوم ضابط البحرية ماج20 برحلة نحو تكانت، ساهمت في تدشين التوغل داخل أرض موريتانيا، حيث يمّم وجهه شطر "تكانت" بتوجيهات مباشرة من الوالي الفرنسي على السنغال فيدرب، وكانت رحلة ماج هذه تهدف إلى

بعض الأمور من بينها:

أ. ربط صلات دائمة مع السكان.

ب. توقيع اتفاقيات تجارية مع الزعماء المحليين.

ت. جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات عن المنطقة.

ث. الوصول إلى المدن الموريتانية المهمة والتي لها وزن تاريخي واقتصادي21.

وقد تمكن ماج من وضع خرائط مفصلة عن المنطقة، بما في ذلك المسالك الجبلية، ونقاط المياه، والتجمعات السكنية، والمقدرات الاقتصادية التي تتميز بها المنطقة خصوصا من مادة الصمغ "العلك" الرائدة تجاريا آنذاك22.

وفي سنة 1860 أوفدت الحكومة الفرنسية في السنغال المستكشف الفرنسي "فينصان" إلى منطقة آدرار23، ورافقه في هذه الرحلة الطويلة ابن المقداد24، حيث استطاع أن يصل إلى آركين، وبرتانتيك، مخترقا بذلك أرض تيرس، ثم اتجه إلى وادان، وشنقيط، وأطار، غير أنه لم يتمكن من دخول هذه المدينة الأخيرة لاحتجازه من طرف أمير آدرار بعد أن شم فيه رائحة التجسس، وهو ما أضطره إلى الرجوع على آثاره عائدا إلى سان لوي25.

وعلى الرغم من أن فينصان تمكن من جمع معلومات **مهمة عن آدرار لم يسبق لأي أوروبي أن** جمعها، فإن فائدة هذه المعلومات كانت كبيرة بالنسبة للجيوش الفرنسية حتى بعد نصف قرن من ذلك الوقت، فقد استفاد العقيد "غورو" من معلومات فينصان أثناء حملته العسكرية على آدرار سنة 261909.

ولم تسلم معلومات فينصان هو الآخر حول السكان من بعض المبالغات والأحكام المطلقة فقد ذكر أن أهل موريتانيا "...كذابون ومنافقون وسراق ومصيبة للمجتمع يستوي في ذلك القريب وصاحب القافلة الغريب، ولا يحترمون شيئا وقتل

الإنسان عندهم أمر زهيد، إذا كانوا يطمعون في الحصول على نهب أي كان وواثقون من عدم العقاب... وكذلك فإن جميع المسافرين مجمعون على طابع المكر والقساوة في البيضان وقليل من أولئك الذين دخلوا هذه الأقاليم وسلموا من نهب أو قتل"27.

وهنا نلاحظ بجلاء النظرة المتشائمة والضبابية لهذا الرحالة تجاه سكان الإقليم، فلم يتورع عن وصفهم بأقبح الأوصاف وأشنعها (كذابون، منافقون، سراق...).

وإذا كانت رحلة ريني كاي إلى لبراكنة وماج إلى تكانت، قد قدمتا معلومات لا بأس بها حول المنطقة التي لامستها الرحلتان، فإن هذه المعلومات لم تكن كافية من وجهة النظر الفرنسية، لذلك تم إيفاد كل من ضابط البحرية بورل Bourrel إلى لبراكنة، والملازم السنغالي الأصل علي صل28 إلى لبراكنة ومنها إلى تكانت والمدن التاريخية.

استطاع بورل إنجاز مهمته بسهولة نتيجة الستهيلات التي قدمها له الأمير البركني سيد أعلي، فقدم معلومات مهمة عن بحيرة آلاك29، أما علي صل فقد كانت مهمته شاقة ومضنية ونجح فيها إلى حد بعيد، فقد كانت توصيات الوالي الفرنسي على السنغال تقضي بأن يضع حدا للصراعات التي تعصف بإمارة لبراكنة، ثم يتجه إلى تكانت ثم الحوضين30 لزيارة مدينة ولاتة ثم تنبكتو.

في الشطر الأول من مهمته المتمثل في فض النزاع بين الأطراف المتنازعة، استطاع "علي صل" التوصل إلى تسوية بين طرفي النزاع أولاد نغماش وأولاد السيد31 بعد مفاوضات استمرت ثلاثة أشهر32.

ثم اتجه إلى تكانت وحاول استدراج أميرها بكار بن اسويد أحمد33، وقاسمه أنه تخلى عن خدمة الفرنسيين وأنه ذاهب إلى مكة من أجل تأدية الحج، غير أن الأمير بكار لم تقنعه هذه الحجج، فاحتفظ بالرحالة علي صل كشبيه أسير إلى ان تمكن هذا الأخير من الفرار مستغلا ذهاب الأمير بكار إلى آدرار، فرجع إلى سان لويس وبجعبته معلومات تهم الإدارة الفرنسية حول السكان والقيادات المحلية.

وخلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تسارعت وتيرة الرحلات كما وكيفا؛ حيث كادت تشمل جميع الأراضي الموريتانية، وكان الرحالة أنفسهم أصحاب مشارب مختلفة فمنهم المدني والعسكري ومنهم العالم المتبحر ومنهم المأجور المسخر34.

وسيتم في إبريل 1900 إرسال أكبر بعثة استكشافية فرنسية تسير إلى المنطقة في ذلك الوقت، وهي المعروف ببعثة بلانشي35، وكانت هذه الرحلة تهدف إلى زيارة مناطق الترارزة، وإينشيري، وآدرار، وجمع المعلومات حول هذه المناطق وذلك بهدف تأكيد وجود معادن مهمة بباطن الأرض، كما

تهدف هذه الرحلة إلى دراسة إمكانية مد خط سكة حديد بين السنغال والجزائر عن طريق الأراضي الموريتانية36.

إن هذه الرحلات الاستكشافية الاستخبارية كانت أداة تمهيد لغزو البلاد مع مطلع القرن العشرين، فالمعلومات التي تم جمعها كانت ضرورية ولا غنى للجيوش الفرنسية عنها، فبسببها أصبح الفرنسيون على علم كامل بالمنطقة (الزعماء المحليون، عدد السكان، نشاطهم الاقتصادي، طبيعة التضاريس، الإمكانات التجارية...).

وبناء على معلومات هؤلاء الرحالة والمستكشفون كانت الدوائر الفرنسية تصيغ الخطط الكفيلة بوضع اليد على المنطقة، والاستحواذ على مقدراتها الاقتصادية، وقطع الطريق أمام الدول الأوربية المنافسة.

غير أن المجتمع لم يقف مكتوف الأيدي حيال السياسات الفرنسية الرامية إلى الاستحواذ على البلاد، فإن كان أصحاب الشوكة (حسان) قد وقفوا في وجه فرنسا عسكريا، فإن أصحاب القلم (الزوايا) وقفوا كذلك في وجهها معنويا من خلال تعبئة المجتمع ضد السياسات الفرنسية.

قائمة المصادر والمراجع:

- الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987.
- أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى 1995.
- جلييه: التوغل في موريتانيا اكتشاف استكشاف، تعريب: محمدن بن حمينا، دار البيضاء، ط1، 2007.
- ددود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر (17-18م) بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1992-1993.
- محمد الراظي بن صدفن: المدرسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ومجتمع البيضان، مجلة مصادر، العدد الثالث، نواكشوط، سنة 2002 .
- محمدو بن محمدن: الرحالة الفرنسيون ودورهم في تحريف التاريخ الموريتاني حوليات كلية الآداب، جامعة نواكشوط العدد الثاني 1990.
- محمدو بن محمدن : المجتمع البيضاني فيم القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2001.
- محمد المختار ولد سيدي محمد: النضال الوطني، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب،جامعة بغداد سنة 1997.
- محمد المختار ولد السعد: الأرستقراطية الدينية والسلطة السياسية التروزية في مواجهة التوسع الإستعماري الفرنسي في القرن التاسع عشر، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 34 المغرب 2005
- محمدو بن محمدن: الرحالة الفرنسيون ودورهم في تحريف التاريخ الموريتاني حوليات كلية الآداب، جامعة نواكشوط، العدد الثاني 1990.
- محمد عبد الرحمن بن عمار: التغلغل الاستعماري في موريتانيا من القرن التاسع عشر حتى 1934، مطبعة المنار.
- سيدي نور الدين، مساهمة في دراسة تاريخ موريتانيا، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1995.

– سعدبوه بن احمادة: لمحة من تاريخ إمارة لبراكنه في النصف الثاني من القرن 18 بحث التخرج من المدرسة العليا للأساتذة، نواكشوط 1985.

– Chekh (Abdel Wadoud) Nomadisme, islam et pouvoir polittque dans la société maure précoloniale, Essai sur quelaues aspects du tribalisme, these pur le doctorat en sociologie université Paris – v, 1985 p 297–311.

الهوامش

[1] عرفت البلاد عدة تسميات لعل أهمها وأكثرها شيوعا:

– أرض البيضان: وكان أول من أطلقها الرحالة العرب (ابن بطوطة، البكري) الذين زاروا المنطقة خلال القرون الوسطى، وأطلقوا هذه التسمية لتمييز السكان ذوي البشرة البيضاء عن بقية الزنوج ذوي البشرة السوداء.

– شنقيط: اسم مدينة تقع في آدرار شمال البلاد حاليا، تأسست في 660هـ وهي امتداد لمدينة آبير، التي كانت قد تأسست 160هـ، وعليه فقد أطلقت تسمية شنقيط التي هي في الأصل إحدى مدن البلاد، على القطر كله، وذلك من باب تسمية الشيء ببعض جزئه.

– موريتانيا: تسمية أطلقها الفرنسيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان أول من أطلقها منهم الرحالة "جان فانصواكاي" 1843، ثم تبعه الإداري اكزافيي كبولاني "– المنظر الحقيقي لاحتلال المنطقة – في ذلك نهاية القرن التاسع عشر وبداية لاحقة، كما توجد تسميات أخرى أقل انتشارا منها تكرور، وأرض السيبة، بلاد المغافرة، للمزيد راجع:

– ددود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر (17–18م) بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1992–1993 ص 23 وما بعدها.

– أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى 1995 – صص 13–23.

– محمدو بن محمدن، المجتمع البيضاني فيم القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2001، ص 223–227.

[2] حكم الويس فيدرب السنغال لفترتين الأولى من (1854 إلى 1861)، والثانية من (1863 وحتى 1865).

[3]– محمد عبد الرحمن بن عمار: التغلغل الاستعماري في موريتانيا من القرن التاسع عشر حتى 1934، مطبعة المنار،ص: 97.

[4] – حاولت فرنسا من أجل السيطرة على السكان بناء مزارع الفول السوداني عن طريق الاستحواذ على ممكة"والو" والمناطق المجاورة لها في الضفة اليسرى من نهر السنغال وقطع صلتها بلإمارات الموريتانية.

[5]– محمد المختار ولد السعد: الأرستقراطية الدينية والسلطة السياسية التروزية في مواجهة التوسع الإستعماري الفرنسي في القرن التاسع عشر، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 34 المغرب 2005، ص: 274.

[6]– المرجع السابق، ص: 276.

[7]– عمر بن سعيد تال توفي 1864م عالم ومجاهد، أخذ الطريقة التيجانية بواسطة سيدي مولود فال الشنقيطي، خاض جهادا مريرا لإقامة دولة إسلامية في فوتا كان أحد أسباب اصطدامه بالقوى الفرنسية، للمزيد حول ترجمته راجع: الخليل

النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987 ص: 571.

[8]– الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سبق ذكره، ص: 320.

[9]– لا نسعى في هذا المقال الخاص بالرحلات الاستكشافية إلى تتبع مسارها والمجال الذي لامسته وطبيعة أفرادها والعراقيل التي تعرضوا لها، بقدر ما نود أن نبرز دورها في تكريس الوجود الفرنسي المباشر الذي تمخض عنه احتلال البلاد مطلع القرن العشرين، ونحيل من أراد التعمق في موضوع الرحلات الاستكشافية والمستكشفين إلى العمل القيم الذي قدمه الأستاذ محمدو بن محمذن : المجتمع البيضاني فيم القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2001.

[10]– محمد المختار ولد سيدي محمد: النضال الوطني، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب،جامعة بغداد سنة 1997ص: 35.

[11]– سيدي نور الدين، مساهمة في دراسة تاريخ موريتانيا، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1995، ص: 94.

[12]– محمدو بن محمدن: الرحالة الفرنسيون ودورهم في تحريف التاريخ الموريتاني حوليات كلية الآداب، جامعة نواكشوط، العدد الثاني 1990 ص: 21– 35.

[13]– هو المشهور في الأدبيات الشعبية: بولد "كيجه النصراني" ولد في فرنسا سنة 1800، ثم ما لبث أن ظهر شغفه بالترحال والأسفار، وقد كان مولعا بالوصول إلى مدينة تنبكتو التي طالما أثارت فضول الأوربيين وألهبت خيالهم، وبالفعل فقد تمكن في 20 ابريل 1828 من الوصول إلى هذه المدينة بمجهود شخصي منه، بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية دعم الرحلة، توفي في فرنسا وهو في مقتبل العمر سنة 1838.

[14]– نور الدين: مساهمة في دراسة تاريخ موريتانيا، مرجع سبق ذكره، ص: 96.

[15]– محمد الراظي بن صدفن: المدرسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ومجتمع البيضان، مجلة مصادر، العدد الثالث، نواكشوط 2002 ص 88.

[16]– جلييه: التوغل في موريتانيا اكتشاف استكشاف، تعريب: محمدن بن حمينا، دار البيضاء، ط1، 2007، ص:90.

[17]– يقصد الأمير البركني أحمدو بن أعلي الأول.

[18]– يقصد الإتاوات التي يدفعها الأوروبيون جراء الاتفاقيات التجارية وتأمين طرق القوافل ونقاط التبادل.

[19]– جليلة: مصدر سبق ذكره، ص: 91.

[20]– ولد أيجن آبدون ماج في 30 يوليو 1837 في باريس، انضم إلى المدرسة البحرية سنة 1850 ولم يتجاوز الثلاثة عشر من العمر، منح رتبة ملازم بحري أول سنة 1855 وفي السنة الموالية تم نقله إلى القاعدة البحرية الفرنسية بالسواحل الغرب إفريقية، ومنها ستكون صلته بالجنرال فيدرب الوالي العام على السنغال، وستكون صلته بالمجال البيضاني الذي شد الرحال إليه في نهاية عام 1859 وبداية تاليه، أدركته المنون وهو على ظهر سفينة كان يقودها في 18 نوفمبر 1869 وهو آنذاك ابن الثانية والثلاثين.

[21]– محمدو ولد محمدن: المجتمع البيضاني مرجع سبق ذكره، ص: 179.

[22]– محمد المختار بن سيدي محمد: النضال الوطني، مرجع سبق ذكره، ص: 39.

[23]– سلاسل جبلية في الشمال الموريتاني.

[24]– هو من أصل سنغالي، اشتهر في الروايات الشفوية المحلية بكرمه وحسن ضيافته، حتى أن البعض يوغل في وصفه بالكرم إلى حد أنه نزع أبوب داره عندما علم أن رجالا من البيضان طرقوه ليلا ووجدوه قد سد الأبوب فباتوا في العراء، وقد ربطت ابن المقداد علاقات مع عدد من المجموعة البيضانية خصوصا مع الشيخ سعد بوه الذي استغل توصياته من أجل الحماية من بطش السكان المحليين أثناء رحلته التي قادته إلى المنطقة، راجع: الخليل النحوي،مرجع سبق ذكره ص: 326-327.

[25]– محمد عبد الرحمن بن عمار: التغلغل الاستعماري في موريتانيا من القرن التاسع عشر حتى 1934، مطبعة المنار، ص: 112.

[26]– المرجع السابق 113.

[27]– جلبيه: مصدر سبق ذكره، ص: 99.

[28]– علي صل 1830-1863 بعد عودة فنصان من آدرار، وماج من تكانت وتعرضهما للنهب وعدم تمكنهم من دخول المدن التاريخية، بسبب موقف السكان المتشدد اتجاه الأوربيين، قرر فيدرب إيفاد أحد السنغاليين المخلصين بغية دخول المجال البيضاني ودخول المدن التاريخية التي ظلت مستعصية عليهم، وكان صاحب هذه المهمة علي صل الذي ساعده على أداء مهمته دخوله في الاسلام ومعرفته باللغة العربية.

[29]– جلبيه: مصدر سبق ذكره، ص: 105.

[30]– يقصد بالحوضين: الحوض الشرقي وعاصمته الآن النعمة، والحوض الغربي وعاصمته العيون في المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد.

[31]– للمزيد حول إمارة لبراكنة راجع :

Chekh (Abdel Wadoud) Nomadisme, islam et pouvoir polittque dans la société maure précoloniale, Essai sur quelaues aspects du tribalisme, these pur le doctorat en sociologie université Paris – v, 1985 p 297-311.

– سعدبوه بن احمادة: لمحة من تاريخ إمارة لبراكنه في النصف الثاني من القرن 18 بحث التخرج من المدرسة العليا للأساتذة، نواكشوط 1985.

[32]– محمدو بن محمدن، المجتمع البيضاني، مرجع سبق ذكره، ص: 156.

[33]– أهم وأقوى أمراء إدوعيش، تولى الإمارة (1840-1905) كان له نفوذ قوي داخل البلاد وخارجها، ففي الداخل تدخل في النزاعات الداخلية في كل من إمارة (آدرار، والترارزة، ولبراكنة) وفي الخارج تصارع مع الحاج عمر الفوتي، واستضاف زعماء كايور وجولوف المناهضين للاستعمار، تم استشهاد بكار على يد القوات الفرنسية في إبريل 1905 أثناء عملية الاحتلال المباشر.

[34]– **من أهم تلك الرحلات:**

– رحلة ملازم البحرية شرافير سللي Solullet 1886 إلى آدرار.

– رحلة دولس Douls 1887 إلى الشمال.

– رحلة Léon Fabert سنة 1891 إلى الترارزة.

– رحلة Donnet سنة 1894 إلى آدرار.

راجع جلبيه مصدر سبق ذكره، ص: 87 إلى 120.

[35]– ولد بول بلانشي 1870 في باريس وقد توفي في داكار شهر اكتوبر 1900 على إثر الإعياء والتعب الذي أصابه نتيجة فترة الأسر (77 يوما) قضاها في آدرار هو ورفاقه الفرنسيون، بعدما شموا فيهم رائحة الجوسسة، ولم يتم تخلصيهم من الأسر إلا بعد تدخل الشيخ سعد بوه، راجع: محمدو بن محمدن، مرجع سبق ذكره، ص: 167–171.

[36]– محمدو بن محمدن: المرجع السابق، ص: 192.